

الترجمة الأدبية بين الحرفية والإبداع

قادة مبروك

قسم الترجمة جامعة وهران

تعتبر مقارنة الترجمة الأدبية للشعر الغربي من أهم العناصر تجسيدا لأسلوب الترجمة الحرفية ومن بين القضايا الفنية بروزا في العملية التبليغية، والتي تشير إلى رؤية المترجم في الإحاطة بالموضوع، باعتباره مسلحا من مسالك التخيل، وتقريب المعاني وسبك الدلالات، وقد كنا نتغيا من خلال هذه المقاربة، تبيان مدى قدرة واستيعاب اللغة العربية لأدق الصور البيانية البودليرية ونفحاته الشاعرية وعريدته، وترتحاته اللغوية، والملاحظ في ديوان بودلير استناده على عنصر التشبيه في دس الدلالات كعنصر أساسي، حيث نلغي بودلير يعول عليه كثيرا في الكشف عن قلقه، ومأساه، وتقلباته. مأساه التي لم يستطع بودلير ذاته تحديد ماهيتها ومعانيها على نحو قوله: «...إنني، وأنا المتغني بالرجبات المجنونة للخمرة والأفيون لست ظامئا إلا إلى مشروب مجهول على الأرض، ولا يستطيع الفن الصيدلاني السماوي هو نفسه أن يقلمه لي؛ مشروب لا يحتوي لا على الحيوية، ولا الموت ولا على الإثارة، ولا على العدم أن لا أعرف شيئا، ولا أعلم شيئا، ولا أريد شيئا، ولا أحس شيئا، بل أن أنام وأنام أيضا، تلك هي اليوم أمنيته الوحيدة. إنها أمنية شائنة ومقرفة، لكنها مخلص¹»

لقد اخترقت الصور التشبيهية شعر بودلير، فبدأ ديوانه لوحة تتقاطع فيها التلوينات والإحباطات بعصاوية الشاعر، ويروحه المبدعة المتميزة النزوعة إلى اختراق الواقع ببيان شاعر مهووس تتخطفه حالات إلهامية غريبة، بأمزجة عجيبة، ورغبات ملعون، وقناعات سرحان، فيظما للعدم، ويتوق إلى الفن السماوي الخالد بمعاني مثيرة وروابط غير منطقية بين أركان التشبيه، وهذا رغبة في تحسس إيقاعات وخفقات الروح والوجدان، عبر صور صب فيها جام غضبه على الوجود والآخرين فتفرد بالتألق والتأنق وسما عنهم بالشعر وبالتعاطف مع المعوزين والشحاذين والمسولين بناء على قناعة شخصية تأسست لديه من خلال منهجه المميز في الوجود ذلك الوجود الذي كان لديه بمثابة الأرض الخصبة والمهمة التي اقتبس من مقاماتها صور فنية وجمالية، في لجوءه إلى ما يسمى بتراسل الحواس، والتي تتبادل فيها الحواس وتراسل لترصد صور سمعية عن حاسة العين وصور

لمسية عن الأذن ، وقد وجدنا بودلير يلجأ إلى هذا النوع من التصوير¹ **La comparaison** لإيمانه في أن اللغة كتلة من الرموز تتيح للشاعر حق التصرف في دلالاتها قصد الوصول إلى معاني جديدة لها علاقة بالاشعور .

الترجمة الحرفية :

يذكر " فيني دارلنت " في " أن الترجمة الحرفية ... تعني ... الانتقال من اللغة المتن إلى اللغة المستهدفة للحصول على نص صحيح من الناحية التركيبية والدلالية وذلك بتقيد المترجم ب الإجارات السانية فقط.²

يعتمد كل من " فيني دارلنت " على الترجمة الحرفية في إفاء النص الأصلي حقه من الدلالة وقد يترد في أحيان كثيرة إلى تقارب معجم اللغات وتشاكلها في لأساليب التعبير . الإيجاء .

قصيدة «دون جوان ينزل في جهنم» DON JUAN AUX «ENFERS»

سنعرض لمجموعة من نماذج التشبيه وتقابلها بالترجمات العربية يذكر بودلير في المقطوعة الأولى :

Quand **Don Juan** descendit vers l'onde souterraine
Et lorsqu'il eut donné son obole à Charon,
Un sombre mendiant, l'œil fier comme Antisthène,
D'un bras vengeur et fort saisit chaque aviron.¹

تعتبر هذه القصيدة من بين القصائد المكونة للجزء الموسوم ب **SPLEEN ET IDEAL** ، وهو الجزء الذي حاول الشاعر تضمينه بعض التأملات حول الإنسان بشكل عام وطبائعه وعجرفته وغروره بشكل خاص .

إن **DON JUAN** ، شخصية أسطورية ، شخصية متحررة ، ثائرة تبحث عن إشباع رغباتها الجنسية دون كلل ، أو ملل ، أو خوف من التقاليد الاجتماعية ، والأعراف الأخلاقية الدينية ، تجاهلة الاعتراف بها ، بل هدفها الأساسي في استمالة النساء ، وقد اعتبرها النقاد قصة حقيقية ، وقعت بين نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر في إسبانيا بمدينة إشبيلية .

نبدأ القصيدة بأنبعث **DON JUAN** ، بعد موته ، بنزوله إلى الجحيم أين يلتقي بمتسول ، فظهر قوي البنية ، معتد بنفسه ، حيث يستعمل بودلير بعض الأفعال الدالة على الهدوء والسكينة

التي أملت بهذه الشخصية المغرورة ، في حيز يعث على الخوف والألم والارتباك ، إنه الجحيم الذي يبين لنا فيه بودليرومن خلال قصيدته أن D.J ، كان على علم بما ينتظره من عقاب فصوره تصوير البطل الذي يتحدى الصعاب ، يتحدى النار الجحيمية التي ستكون مأواه الدائم ديمومة الزمان ، وهو شكل من أشكال الجمالية التي ينزع إليها بودلير كلما تعلق الأمر بالألم والموت والجحيم إنها الرؤية البودليرية التي ينقلب فيها الألم في حنايا الشعر جمالا والعذابات والتأوهات والجراح ، مقاطع موسيقية، وعروضية عذبة.

لقد وجد بودلير في شخصية **DON JUAN** ، الكائن الأسطوري ، والذات الملهمة التي جلبت اهتمامه ، بسلوكياتها الغريبة والمتطرفة ، غير العادية ، فكان بمثابة الموضوع المتميزة الخصبة التي سوف تعينه على الإبداع ، وكذا إعادة الدفع بالشخصية إلى أعماق الأسطورة ، فانتزع **DON JUAN** ، من المسرح ليدفع به إلى بيئة الشعر ، فبدأ من حيث انتهى **Molière** ، وانتقل ببطء من عالم الأحياء إلى عالم الموتى ، وهي المرحلة التي بدأ فيها بودلير قصيدته ، ليكون فيها شاهدا فيما بعد على محاكمته .

في هذا الحيز المشؤوم يلتقي **DON JUAN** ، بالنسوة اللاتي اصطادهن ، وكل اللواتي استجبن لغوايتهن ، واللواتي سقطن في شركه ، فالتقى بهن وجها لوجه ، الحال التي جعلت بودلير يصورهن تصويرا

متميزا فبدن في صورة غريبة : عاريات الصدور ، متأوهات ، تائهات ، يشبهن القطيع في تصرفاتهن الحيوانية المتوحشة على نحو قول بودلير :

Montrant leurs seins pendant et leurs robes ouvertes
Des femmes se tordaient sous le noir firmament,
Et, comme un grand troupeau de victimes offertes,
Derrière lui traînaient un long mugissement.¹

وقام نسوة يتلوين تحت السماء الخالكة.

مبرزات أئداءهن المتهذلة. وفساتينهن المتبرجة ،

ساحبات وراءه خوارا ذا رجع مديد

كنخوار قطيع ضخم من القرابين .²

بينما يظهر، DONJUAN مطمئنا ، واثقا بنفسه ينزل إلى الجحيم ويحاول بودلير في المقطع الثاني من القصيدة استنطاق لوحة الفنان Delacroix ، وإعادة تركيب أحداثها في القصيدة ، وبهذا يكون بودلير قد استقى بعض الأحداث من الفن التشكيلي، وهي لوحة للفنان Delacroix ، والتي تصور باخرة تمخر عباب الفضاء الجحيمي بل قد يكون هذا رغبة في تقوية وتتمتين صورة الهلع التي أصابت النسوة ففتن من فرط صعوبة الموقف ، وهي صورة من صور الجحيم التي انجذب إليها بودلير. وتعلق بها تعلقا كبيرا

l'enfer au pluriel sa veut dire que le mal est partout..

في حين سنحاول التركيز على مقارنة ترجمة الصور التي سلك فيها المترجمون العرب أسلوب الترجمة الحرفية ، بوصفه أسلوبا من أساليب التفاعل مع النص البودليري ورؤية متميزة في إبراز الدلالة.

الترجمة الحرفية	بودلير	العتاتي	ألقصري
	Un sombre mendiant, l'œil fier comme Antisthène,* D'un bras vengeur et fort saisisit chaque aviron.	تقدم منه شحاذ كتيب ، مزه العين مثل أنتيستين ويساعد متقم وقوي قبض على كل مجذاف. ¹	أسلك متسول مكفهر الوجه شامخ الأثف مثل « أنتيستين » ² كلا المجذافين بساعدين مستقيمين.

الجدول رقم. ب - 01

يبدأ بودلير قصيدته باستعمال أداتي الربط الدالة على الزمن "quand" locutions conjonctives و "lorsque" ، لتحديد الإطار الزمني لنزول D.J ، إلى واد جهنم ، وقد ترجمها ألقصري ب "لما" و "بعد" ، في حين ترجم العتاتي **lorsque** ، ب "حين" واستغنى تماما عن الإعلان عن زمن نزول D.J ، إلى الجحيم الذي تم ذكره في النص الأصلي.

في حين قام القصري بترجمة ، الصفة المتعلقة بالمشبه ، **Un sombre** ، بمكتهر الوجه ، فعدل عن الاكتفاء بذكر صفة الخلقة ، وتعويضها بلفظة الاكتهرار المتعلقة بالوجه ، فأضاف عضو من أعضاء الجسم ليستقيم التركيب ، فأصبحت **مكتهر الوجه** ، كما استعاض في ترجمته لللفظة المركبة **l'œil fier** ، والتي تعني الغطرسة ، بشامخ الأنف ، وقد اعتمد على أسلوب التطابق فيما يخص البحث عن لفظ مركب يقابل به لفظ بودلير المركب المذكور رغبة من المترجم في تحقيق الدلالة ذاتها.

أما العيتاني فألفيناه ، قد ترجم **Un sombre** ، بلفظة كئيب ، وسلك أسلوب الترجمة الحرفية والسطحية في الوقوف على المعنى المركب للفظ **l'œil fier** ، باللفظة المركبة مزهو العين . وقد لاحظنا تفاوتاً نسبياً بين المترجمين قد يرجع إلى قدرة وتجربة كل منهما ، فنلغي القصري يتبع المعاني ، حريصاً على اصطياده ، دقيقاً في اختيار معانيها على الرغم من صعوبة الموقف ، المتعلق بترجمة الصور البيانية البودليرية فيرتب الجملة ويضيف إليها بعض الصفات والنعوت كنوافل لتخصيب المعنى ، في حين يذهب العيتاني إلى قص بعض الألفاظ والروابط التي ورد ذكرها في النص الأصلي والتي نرى ضرورة حضورها في الترجمة ، كما نلغيه يتحاشاها فيستغني عنها ، وعندما تصادفه بعض العبارات التي نعتقد أن أسلوب الحرفية قد يفسد المعنى فيها ، فيلجأ إلى ترجمتها حرفياً كسلوك ترجمي لفك الحصار عن المعنى . ف« بإمكان المترجم اختيار إنتاج معنى الصورة دون إعادة تركيبها في اللغة المترجم إليها وهو ما ندعوه بالصمت المجازي كما يسميه **Maryvonne Boisseau** ، كمثال يسوقه في ترجمته لمسرحية **Racine** لـ **Phèdre** ، غير أنه في بعض الأحيان كما تؤكد **Françoise Thau Baret** ، أن المجازات تعد من دواخل النص الأساسية التي لها دور كبير في تركيب معنى النص ، وعليه يكون من الضروري أن نترجمها ، أو بالأحرى على المترجم أن يلجأ إلى أسلوب التضميم أو التكرار.»¹

وهو الشيء الذي لاحظناه في ترجمة الصورة من قبل كل من القصري والعيتاني ، في احتفاظهما بصورة المشبه والمشبه به كما وردت في نص بودلير ولم يغيروا فيها شيئاً اللهم إلا فيما يخص الزيادة في الوصف لتضميم المعنى ، فبقي التشبيه بأركانه منقولاً بحرفيته من لغته الأصلية إلى اللغة العربية .

نلاحظ أن ترجمة ألقصري اقترنت من مستوى دلالة النص الأصلي على الرغم من استنادها على الحرفية ، وذلك عندما تعلق الأمر بالتعرض للشخصيات نفسها ك **Don Juan** ، وشخصية **Antisthène** ، وعلى الرغم من غرابة الصورة التي ألفيناها تستند أساسا على أشكال شخصيات غريبة وأسطورية ، فجاءت هذه الحرفية تماشيا مع توظيف الشخصيات الأسطورية ذاتها التي اعتمد عليها

بودلير في نسيج صورة التشبيه ، الأمر الذي يجعل أنه لا مانع من ضرورة استعمال آلية الغرابة ذاتها وعنصر المفاجأة ذاته في تجميل النص وتلطيفه يتجاوز الواقع بآليات رمزية أسطورية. ولأننا نعتقد أن بودلير قد وجد في شخصية **D.J** ، ملامح الشخصية التي كان اتشغل بها بودلير في زمن ما عندما تذكر قوله (البطل يلهو وحيدا) ، ف **D.J** ، يعتبر الشخصية البطولية التي تحققت فيها كل ملامح البطولة ، انطلاقا من الحرية التي تميز بها ، وكنا العجرفة والغرور ، والشموخ ، والتحلي.

هذا في حين يتناول بودلير في قصيدته الموسومة ب **Bénédiction** ، صورة أخرى من صور التشبيه ، إذ يتناول في هذه القصيدة موضوع السأم ، فعندما تنزل اللعنة بالشاعر ، ويخصنه الأسى يلجأ إلى الكلمات ليستحم بحمأ السأم ، فيستذكر أمه ، سبب ابتلائه ، أسباب الرزايا التي أصابته ، فيلبسها لبوس الآثام ، ليجعلها تجتر اللعنات والحسرات ، فتقلب ضعيفة مسلوية القدر عارية الصدر فارغة اليدين نادمة متحسرة على وجودها ، بينما يصور ذاته الطفل الوديع الذي حرمه القدر انتشاء عطر الأمومة ، فيلهو مع الريح ويعانق الشمس كطائر الغابات.

لقد أراد بودلير إدانة أمه من خلال تصرفات الأم الطبيعية والتلقائية والشهوانية و الطبيعية الضعيفة التي دفعت ب **Madame Aupick** ، إلى التخلي عن مسؤوليتها والزواج من **Aupick** ، وهو الزواج الذي دفع ثمنه بودلير في إبعاده عن الأم ، مما جعل بودلير يرصدها في صورة المرأة الشهوانية التي استجابت لغريزة المرأة ولم تستجب لروح الأمومة ، فاستعطف القارئ العام في قدرته على إرفاق حديثه عن الأم بالحديث عن وداعة الطفل الذي كان يلهو مع الشمس والضوء ، وهي الصورة التي تشير إلى الانعزالية التي عاشها بودلير في غياب أقرب الناس إليه ، وهو موقف طبع ذاكرة الطفل كما طبع شعره . فأدان تصرفاتها وأنانيتها ، محملا إياها مسؤولية تشرده وآلامه.

يومئ الشاعر، من خلال الحديث عن نفسه، وأمه، وصور الآلام التي عاشها، إلى الاعتقاد المسيحي، فيرصد ذاته على شاكلة النبي الذي يتحمل أعباء الإنسانية فيما أصابه من رزايا حسب الاعتقاد المسيحي، في حين تأتي صورة الأم لتجسد صورة الاعتقاد المسيحي. على حد قوله:

Il joue avec le vent, cause avec le nuage,
Et s'enivre en chantant du chemin de la croix ;
Et l'Esprit qui le suit dans son pèlerinage
Pleure de le voir gai comme un oiseau des bois¹

إنه بمثابة النبي والملاك الذي يحدث السحاب، ويطرب لمسلك الصالحين.

هذا ومن بين صور التشبيه التي حاولنا مقارنة ترجمتها ما يذكره بودلير في قصيدة Bénédiction، في قوله:

Comme un tout jeune oiseau qui tremble et qui palpite,
J'arracherai ce cœur tout rouge de son sein,
Et pour rassasier ma bête favorite,
Je le lui jeterai par terre avec dédain »¹

يرصد بودلير في هذه المقطوعة، صورة فضيحة لكيفية اقتلاع القلب من الصدر، وقد وجدناها صورة مؤثرة في استادها على أسلوب البناء المرتكز على أوجه التشبيه المجسدة لحياة العضو المقتلع. نعتقد أنه من بين جماليات الترجمة وشعرياتها في الترجمة العربية على الخصوص السعي للبحث عن أثارها في أعماق موسوعية المعجم الحداثي للشعر العربي المشتبع بالتراث العربي وما يتمسك به المترجمون من موسيقى اسطورية قد تسهم في تلوين ملامح الجمالية التي ألفيناها تتحدد صورها في ما ينزع إليه المترجم العربي في نسج الصور البيانية المترجمة، ذلك أنه كلما اقترب من الحرف العربي القديم والأصيل كلما لمسنا قدرته على التعبير بتخللها نفحات عربية تمتع الأذن ويستلذ السمع فيترك آثارا شعرية وجمالية لانراها تتحدد إلا في التراث العربي ومرجعياته التي تستوفي الصوت معانيه.

الاحالات:

— شارل بودلير أزهار الشر، ترجمة محمد عيتاني، ص 13

¹—G. Moulinié, Dictionnaire de rhétorique, librairie générale française 1992. P299.
La Comparaison : est une Figure microstructurale ... l'image se met pour la chose elle-même.
Quand Homère dit d'Achille : « Il s'élança comme un lion » * dictionnaire de rhétorique P299

² — انعام يوض الترجمة الأدبية مشاكل وحلول الفارابي، ص 77

²- Charles Baudelaire, les fleurs du mal, P20

❖ ويعتبر Molière، من بين الكتاب الذين ألهمتهم قصة DONJUAN، فكذب عن مغامراته، وقد أتى بعدد يودليز ليخبر بها في ثوب شعري بعدما كانت قد أخرجت مسرحية من قبل Molière، وقد تميزت قصيدة يودليز بالأصالة على الرغم من محاكاتها لمسرحية Molière.

¹ - Charles Baudelaire, Les fleurs du mal, P20

² — شارل يودليز زهور الألم تر : م. القصري ص 66

شارل يودليز، أزهار الشر، ترجمة محمد عيتاني، ص 149-

شارل يودليز، زهور الألم، ترجمة مصطفى القصري، ص 266-

*. Dans le mythe antique, Charon est celui qui transporte les morts dans le monde des Enfers; les morts doivent lui donner une "obole", c'est-à-dire une pièce de monnaie. Normalement, c'est Charon lui-même qui conduit la barque.

*. Antisthèn était un philosophe de l'antiquité; pour lui, l'homme libre est celui qui a su dominer ses désirs, qui ne se préoccupe pas des convenances ou des devoirs imposés par la société, mais qui se conforme à une vertu idéale.

*. Don Louis est le père de Don Juan; subissant ses reproches, ce dernier lui répond avec insolence ou avec hypocrisie.

*. Elvire est une religieuse que Don Juan a séduite et enlevée après lui avoir promis de l'épouser.

*. Une rapière est une longue épée.

«Traduire la figure» Acta fabula, automne (vol6, N°3), URL: 2005 —Raffaella Cavaleri¹
<http : //www.fabula.org/revue/document1041>,mars 2007

*« Le traducteur peut choisir de rendre le sens de la figure du style, sans recréer dans sa langue et nous nous parlerons de silence métaphorique dans son exemple de traduction de la Phèdre racinienne. Mais parfois affirme François Thau Baret les figures de style inscrivent dans le cœur du texte ce qui est joué et rejoué il est essentiel qu'elles soient traduites, ou encore, le traducteur peut privilégier l'emphase, la répétition .. »

Charles Baudelaire, les fleurs du mal, P_8-¹

1- Idem 168
Idem168□